

ظاهرة التناص في شعر غيلان ذي الرمة

الدكتور سيد المختار محمد الأمين البشير

msidielmoktar@yahoo.fr

أستاذ مساعد / جامعة المحظرة الشنقيطية الكبرى، موريتانيا

أستاذ مساعد / جامعة بيشة، المملكة العربية السعودية

Dr. SIDI ELMOCTAR MOHAMED LEMINE ELBECHIR

Assistant Professor/ Grand University of Chinguetti /Mauritania
Assistant Professor/University of Bisha, Kingdom of Saudi Arabia

تاريخ النشر: 2025/06/07

تاريخ القبول: 2024/12/14

تاريخ الإرسال: 2024/10/19

المستخلص:

يمثل التناص في شعر ذي الرمة عنصراً هاماً يساهم في إثراء نصوصه وإضفاء أبعاد جديدة عليها. من خلال استخدام التناص مع القرآن الكريم، والشعر الجاهلي، والأساطير العربية، يعكس ذو الرمة فهماً عميقاً للتراث الأدبي والثقافي والديني، ويظهر قدرته على دمج هذه العناصر بطرق مبتكرة وإبداعية. هذا التناص لا يضيف فقط إلى جمالية النصوص، بل يعزز من فهمنا لشعر ذي الرمة ودوره في تطوير الشعر العربي.

الكلمات المفتاحية: التناص، ذو الرمة، الشعر

The phenomenon of intertextuality in the poetry of Ghaylan Dhu Al-Rumah**Abstract**

Intertextuality in Dhul-Rummah's poetry represents an important element that contributes to enriching his texts and adding new dimensions to them. Through the use of intertextuality with the Holy Qur'an, pre-Islamic poetry, and Arabic mythology, Dhul-Rummah reflects a deep understanding of literary, cultural, and religious heritage, and shows his ability to integrate these elements in innovative and creative ways. This intertextuality not only adds to the aesthetics of the texts,

but also enhances our understanding of Dhul-Rummah's poetry and its role in developing Arabic poetry.

Keywords: intertextuality, Dhul-Rumah, poetry

المقدمة

يعدُّ الشعر العربي من أقدم وأغنى الأشكال الأدبية في الثقافة العربية، حيث يعكس تاريخ الأمة وتجاربها وقيمها وتطلعاتها. ومن بين الشعراء الذين برزوا في العصر الأموي، يُعدُّ غيلان ذو الرمة أحد أبرز الشعراء الذين أثَّروا في مسار الشعر العربي، حيث تميَّز بقدرته الفائقة على التلاعب باللغة والتعبير عن المشاعر الإنسانية بلغة بليغة وصور شعرية معبرة.

وتعتبر ظاهرة التناص إحدى الظواهر الأدبية التي اكتسبت اهتمامًا واسعًا في الدراسات الأدبية الحديثة، حيث تشير إلى وجود نصوص أدبية أخرى داخل النص الواحد، سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. و التناص من العناصر التي تضيف عمقًا وأبعادًا جديدة إلى النص، حيث يُمكن من خلاله فتح أبواب لتفسيرات متعددة ومتناقضة، مما يعكس ثراء النص الأدبي. في هذا البحث، سنقوم بدراسة "ظاهرة التناص في شعر غيلان ذي الرمة"، حيث سنستعرض مفهوم التناص وأصوله في الدراسات الأدبية العربية، وسنحلل استخدام ذو الرمة لهذه الظاهرة في شعره. سنقوم أيضًا بمناقشة المصادر المختلفة التي تأثر بها ذو الرمة، مثل القرآن الكريم والشعر الجاهلي والأساطير العربية، وكيف ساهمت هذه المصادر في تشكيل نصوصه الشعرية وجعلها غنية بالمعاني والدلالات.

كما سنبحث في الأثر الذي يتركه التناص على فهم نصوص ذي الرمة وتفسيرها من قبل القراء القدامى والمعاصرين على حد سواء. هدفنا من هذا البحث هو إلقاء الضوء على أحد جوانب الإبداع الأدبي في شعر ذي الرمة، وتوضيح كيف يمكن للتناص أن يثري النصوص الشعرية ويعمق معانيها. ونأمل من خلال هذه الدراسة، في تقديم إسهام مفيد لفهم طبيعة التناص في الشعر العربي، وبخاصة في أعمال غيلان ذي الرمة، بما يُعزز من تقدير هذا الشاعر الكبير ومكانته في تاريخ الأدب العربي.

لمحة عن غيلان ذي الرمة

هو غيلان بن عقبة بن نهيس الملقب بـ "ذي الرمة" أحد أبرز شعراء العصر الأموي، وُلد عام 77

هـ/696 م، وتوفي عام 117 هـ/735 م. ينتمي ذو الرمة إلى قبيلة مضر، ونشأ في بيئة بدوية صحراوية تأثر بها وبتقافتها بشكل كبير، مما انعكس على شعره وموضوعاته.

حياته:

عاش ذو الرمة في فترة انتقالية بين الجاهلية والإسلام، مما أتاح له الاطلاع على ثقافة العرب الجاهلية وتأثره بها، وفي الوقت نفسه تأثره بالثقافة الإسلامية. كانت حياته حياة بدوية تتسم بالترحال والصحراء، وهو ما ترك بصمة واضحة في شعره، حيث برع في تصوير الطبيعة الصحراوية ووصف الحيوانات والنباتات والبيئة التي نشأ فيها.

شعره:

تتسم أشعار غيلان ذي الرمة بالواقعية والتفصيل الدقيق، وهو معروف بتصويره للطبيعة والبيداء والصحراء بأدق تفاصيلها، حيث يعكس شعره حساً عميقاً بالبيئة الصحراوية ومكوناتها. كما يتناول في شعره موضوعات متنوعة مثل الحب والفراق والرتاء والغزل العفيف، وهو الأمر الذي يعكس مدى تأثره بالشعر الجاهلي. ويتميز أسلوبه بالبلاغة وقوة التعبير وكثرة استخدام الاستعارات والكنائيات، مما يجعله أحد الشعراء البارزين في الأدب العربي.

مكانته الأدبية:

نال ذو الرمة شهرة واسعة في حياته وبعد وفاته، ويعتبر من الشعراء الذين أثروا في الشعر العربي بشكل كبير. وقد اهتم النقاد القدماء بشعره، حيث جمعوا قصائده ودرسوها وحللوها مضامينها وأسلوبها، وذلك لأهمية ما قدمه من صور شعرية ولغوية تعتبر نموذجاً للشعر العربي التقليدي.

تناصه:

تجلى التناص في شعر غيلان ذي الرمة بشكل واضح من خلال تفاعله مع نصوص وأفكار سابقة، سواء من الشعر الجاهلي أو من النصوص الدينية مثل القرآن الكريم. فقد استخدم ذو الرمة التناص لإثراء نصوصه الشعرية ولإضفاء عمق فكري وثقافي على شعره، مما يعكس تفاعله الواعي مع التراث الأدبي والثقافي الذي سبقه، بفضل قدرته على المزج بين البساطة والتعقيد في التصوير الشعري، وبين التراث

الجاهلي والروح الإسلامية، استطاع ذو الرمة أن يترك أثرًا عميقًا في الأدب العربي وأن يكون مرجعًا مهمًا للشعراء والنقاد في فهم الشعر العربي التقليدي.

هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة وتحليل ظاهرة التناس في شعر غيلان ذي الرمة، أحد أبرز شعراء العصر الأموي، وكيفية تأثيرها على نصوصه الشعرية. من خلال هذا البحث، نسعى إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. **توضيح مفهوم التناس:** شرح مفهوم التناس وأهميته في الأدب العربي، وخاصة في الشعر، حيث يعتبر التناس أداة هامة للإبداع الأدبي، تسهم في إثراء النصوص وتوسيع معانيها ودلالاتها.
 2. **تحليل أشكال التناس في شعر ذي الرمة:** التعرف على الأنواع المختلفة من التناس التي استخدمها ذو الرمة في قصائده، مثل التناس مع القرآن الكريم، والشعر الجاهلي، والأساطير والثقافة العربية. هذا التحليل سيسلط الضوء على المصادر التي استلهم منها ذو الرمة، وكيفية دمجها في نصوصه الشعرية بطريقة تعزز من جماليتها ومعانيها.
 3. **دراسة تأثير التناس على معاني النصوص:** فحص كيفية تأثير التناس على معاني شعر ذي الرمة وفهم القراء له. سنقوم بتحليل بعض النماذج الشعرية التي تظهر بوضوح ظاهرة التناس، لنكشف كيف تساهم هذه الظاهرة في إضفاء أبعاد جديدة على النصوص وتوسيع أفق التأويل.
 4. **تقييم دور التناس في تطوير الشعر العربي:** من خلال دراسة حالة ذي الرمة، نهدف إلى تقديم فهم أعمق لدور التناس في تطور الشعر العربي. سنناقش كيف ساعد التناس الشعراء العرب في إثراء نصوصهم وتواصلهم مع التراث الثقافي والديني.
 5. **الإسهام في الدراسات الأدبية المعاصرة:** يهدف البحث أيضًا إلى تقديم إسهام في مجال الدراسات الأدبية المعاصرة حول التناس، من خلال تقديم نموذج تطبيقي على شعر ذي الرمة، مما يساعد في فهم أعمق لتأثير التناس في الأدب العربي والإسلامي.
- من خلال تحقيق هذه الأهداف، يسعى البحث إلى تقديم إضاءة شاملة لظاهرة التناس في شعر غيلان ذي الرمة، مما يعزز من فهمنا لتقنيات الكتابة الشعرية في العصر الأموي ويساهم في تقدير هذا الشاعر الكبير ومكانته في تاريخ الأدب العربي.

لفصل الأول: مفهوم التناص في الأدب العربي

مفهوم التناص:

يعتبر التناص من المفاهيم الأدبية الحديثة التي ظهرت في القرن العشرين، ويشير إلى التفاعل النصي بين الأعمال الأدبية المختلفة. هذا التفاعل يمكن أن يكون مباشراً، كما في الاقتباس أو التضمين، أو غير مباشر، كما في الإشارة أو التلميح إلى نصوص أخرى. يُعزى مفهوم التناص في الأدب العربي إلى الحاجة لفهم العلاقات المعقدة بين النصوص، وكيفية بناء المعاني من خلال الحوار مع النصوص الأخرى.

بدأ استخدام مصطلح التناص لأول مرة في الدراسات الأدبية الغربية، على يد الناقدة جوليا كريستيفا في الستينيات، متأثرة بأفكار ميخائيل باختين حول الحوارية. اقترحت كريستيفا أن كل نص هو جزء من شبكة من النصوص، يتأثر ويؤثر في النصوص الأخرى، مشيرة إلى أن النصوص لا تُفهم بشكل كامل إلا في سياق التفاعل مع النصوص الأخرى.

أنواع التناص:

في الأدب العربي، يمكن تصنيف التناص إلى عدة أنواع رئيسية، بناءً على طبيعة التفاعل مع النصوص الأخرى:

1. **التناص المباشر (الظاهري):** وهو النوع الذي يتم فيه اقتباس نص آخر بشكل مباشر وواضح، سواء كان ذلك من القرآن الكريم، أو الحديث الشريف، أو الشعر العربي القديم، أو الأدب العالمي. هذا النوع من التناص يكون واضحاً للقارئ، حيث يمكن التعرف على النص المقنن بسهولة.

2. **التناص غير المباشر (الضمني):** يتمثل في التلميح أو الإشارة إلى نص آخر دون اقتباسه بشكل مباشر. يتطلب هذا النوع من التناص معرفة عميقة بالنصوص الأخرى من قبل القارئ، لفهم المرجعية والمقصد من الإشارة.

3. **التناص الثقافي:** يشير إلى استخدام الأدب للرموز والأساطير والعناصر الثقافية المشتركة التي توجد في الثقافة العربية والإسلامية. يمكن أن يشمل ذلك الاستعانة بالأمثال الشعبية، أو الحكايات التراثية، أو الأساطير الدينية.

4. **التناص الديني:** يتضمن الاقتباس من النصوص الدينية الإسلامية، مثل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. هذا النوع من التناص يحمل بعداً دينياً وروحياً، ويعزز من قيمة النص الأدبي من خلال ربطه بالنصوص المقدسة.

التناص في الأدب العربي الكلاسيكي:

على الرغم من أن مفهوم التناص كمصطلح لم يكن معروفاً في الأدب العربي القديم، إلا أن الأدب العربي منذ العصور الجاهلية كان يعكس نوعاً من التفاعل النصي. فقد كان الشعراء العرب يستخدمون الشعر الجاهلي كنقطة مرجعية في أعمالهم، حيث كان يُنظر إلى الشعر الجاهلي كنموذج للبلاغة والشعرية.

كما استخدم الشعراء في العصور الإسلامية، بما في ذلك العصر الأموي والعباسي، التناص مع القرآن الكريم والنصوص الدينية، مما أضفى على أعمالهم بعداً روحياً وثقافياً. فكان التناص في هذه الحالة وسيلة لتعميق المعاني وتقوية النصوص من خلال الإشارة إلى النصوص الدينية المقدسة.

دور التناص في الأدب العربي المعاصر:

في الأدب العربي الحديث، أصبح التناص أداة بارزة يستخدمها الكُتّاب والشعراء لتعزيز النصوص الأدبية وإضافة أبعاد جديدة للمعاني. يتجلى ذلك في الأعمال الأدبية التي تتفاعل مع النصوص الغربية، والنصوص التراثية العربية، والنصوص الدينية، مما يخلق نوعاً من الحوار الثقافي والفكري بين النصوص.

الفصل الثاني: تحليل التناص في شعر غيلان ذي الرمة

يعدّ غيلان بن عقبة بن نهيّس، المعروف بذي الرمة، أحد الشعراء الذين برعوا في استحضار نصوص وأفكار من التراث الأدبي والثقافي والديني، لخلق نصوص غنية بالدلالات والمعاني المتعددة. يظهر التناص في شعر ذي الرمة من خلال تفاعله مع مصادر متنوعة، مثل القرآن الكريم، والشعر الجاهلي، والأساطير العربية، مما يعكس وعيه العميق بالتراث الثقافي العربي وقدرته على دمج هذه العناصر بطريقة إبداعية.

1. الخصائص الأسلوبية لشعر ذي الرمة

يتميز شعر ذي الرمة بالوصف الدقيق والتفاصيل الغنية، حيث يصف الطبيعة الصحراوية والحيوانات والنباتات بطريقة تجعل النص حيًا في ذهن القارئ. إلى جانب ذلك، يعكس شعره اهتمامًا خاصًا بالصور البلاغية، مثل الاستعارة والتشبيه والكناية، مما يضيف على نصوصه عمقًا وأبعادًا إضافية. من خلال استخدام التناص، يتمكّن ذو الرمة من بناء نصوص متعددة الطبقات، تعكس فهمه العميق للتراث الأدبي والديني.

2. التناص مع القرآن الكريم

يعتبر القرآن الكريم مصدرًا رئيسيًا للتناص في شعر ذي الرمة. يتجلى هذا التناص من خلال الاقتباسات المباشرة، أو التلميحات القرآنية، أو استحضار معاني الآيات القرآنية. على سبيل المثال، قد يستحضر ذو الرمة بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن الصحراء والطبيعة والحيوانات، ليضيف على نصه بعدًا دينيًا وروحيًا. هذا النوع من التناص يعكس إلمام ذو الرمة بالنص القرآني وقدرته على توظيفه بشكل إبداعي في شعره.

3. التناص مع الشعر الجاهلي

يظهر التناص مع الشعر الجاهلي بشكل واضح في أعمال ذي الرمة، حيث يستلهم من شعراء الجاهلية الكثير من الموضوعات والصور الشعرية. من المعروف أن غيلان كان مغرمًا بالشعر الجاهلي، وكان يعتبره نموذجًا يحتذى به في البلاغة والشعرية. في بعض الأحيان، يعمد غيلان ذو الرمة إلى إعادة صياغة أبيات جاهلية أو توظيفها في سياق جديد، مما يضيف على نصه بعدًا تاريخيًا وثقافيًا. على سبيل المثال، قد يستخدم ذو الرمة بعض الصور الشعرية المعروفة في الشعر الجاهلي، مثل تصوير الفرس أو الصقر، ليبني نصًا شعريًا يشير إلى الشجاعة والإقدام. هذا النوع من التناص يعكس احترام ذو الرمة للتراث الشعري العربي وقدرته على استحضاره بطرق مبتكرة.

4. التناص مع الأساطير والثقافة العربية

يميل ذو الرمة أيضًا إلى استخدام الأساطير والعناصر الثقافية العربية في شعره، حيث يستحضر قصص الأنبياء والأساطير العربية القديمة. هذا النوع من التناص يعكس فهم ذو الرمة العميق للتراث الثقافي والديني العربي، وقدرته على دمج هذه العناصر في نصوصه بشكل يجعلها غنية بالدلالات. على سبيل المثال، قد يستخدم ذو الرمة بعض الأساطير العربية المتعلقة بالجن والفرسان، ليضيف على

نصوصه بعدًا خياليًا وأسطوريًا. هذا التناص يعكس قدرة ذو الرمة على استخدام الرموز والأساطير لإيصال رسائل شعرية معقدة.

5. تأثير التناص على بنية النص الشعري

من خلال التناص، يتمكن ذو الرمة من بناء نصوص شعرية متعددة الأبعاد، تعكس تفاعل النص مع نصوص أخرى. هذا التفاعل يجعل النصوص أكثر تعقيدًا وإثراءً، حيث يمكن للقارئ أن يكتشف أبعادًا جديدة ومعاني مخفية من خلال التفاعل مع النصوص الأخرى. يظهر تأثير التناص بشكل واضح في بنية النص الشعري لذو الرمة، حيث يتم استخدام التناص لإضافة أبعاد جديدة للنصوص، وجعلها أكثر تفاعلاً مع القراء. هذا التفاعل يجعل النصوص أكثر ديناميكية ويعزز من قدرة ذي الرمة على التواصل مع القراء بطرق متعددة.

الفصل الثالث: نماذج من التناص في شعر ذي الرمة

في هذا الفصل، سنقوم بتحليل بعض النماذج الشعرية من أعمال غيلان ذي الرمة التي تظهر فيها ظاهرة التناص بوضوح. سنركز على كيفية استحضار ذو الرمة للنصوص الدينية والشعرية والثقافية وتوظيفها في شعره بطريقة تعزز من جماليات نصوصه وتضفي عليها أبعادًا متعددة من المعاني.

1. التناص الديني مع القرآن الكريم والحديث الشريف

النموذج الأول: في إحدى قصائده، يقول ذو الرمة:

“كأنها بين جمع القوم إذ برزت // ظبي تحلّى بآيات من الذكر”

في هذا البيت، يستحضر ذو الرمة نص القرآن الكريم من خلال عبارة “آيات من الذكر”، وهي إشارة واضحة إلى القرآن. استخدامه لهذه العبارة يضفي على النص بُعدًا دينيًا وروحانيًا، ويعكس مدى تقدير الشاعر للنصوص المقدسة وقدرته على توظيفها بمهارة في شعره. التناص هنا ليس فقط في الاقتباس المباشر بل في الرمزية أيضًا، حيث يشبه الشاعر محبوبته بالظبي، مُجَمِّلة بالآيات القرآنية، مما يضفي عليها هالة من القداسة والجمال.

و كما سبق ذكره، فإنّ لكل مبدع روافده وخاماته التي منها يستقي تناصاته، قصداً أو عفواً، والتراث يشكل المنهل الغني والرافد القوي الذي اتجه صوبه ذو الرمة، وغيره من شعراء عصر بني أمية، حيث تتجلى الصلة شديدة، والعلاقة قوية وبارزة بين معاني الشاعر الأموي والشاعر الجاهلي. كما يعتبر النص القرآني من أهم الموضوعات التي ركز عليها شعراء الإسلام نصوصهم الإبداعية، لما تحتويه من سمو الكلم وعظيم البيان، فقد كتب الشعر الأموي في ظلال نفسية إيمانية جديدة، استشعرت حياة تقية صالحة، فيها نسك وعبادة، وزهد وتقوى، وكان ذو الرمة أحد هؤلاء، يمتلئ ديوانه بإشارات إسلامية كثيرة، كذكر الصلاة، وتقصيرها في السفر، وما يكون من التيمم وتلاوة القرآن في السحر وأثناء الليل، حيث يقول:

إذا جلا البرقُ عنه قامَ مُبتهلاً // لله يتلو له بالنجم والطور

وهذه إشارة أو تناسل إشاري واضح مع سورتي الطور والنجم، أي يتلو من سورة الطور وسورة النجم ، ويقوم مبتهلاً إلى ربه: ﴿ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم﴾، ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾، و لله يتلو آياته خاشعاً، ساجداً، عابداً لله وحده، يسبح ربه أثناء الليل وعند إدبار النجوم.

ومنه قوله:

يا ربُّ قدْ أشرقتْ نفسي وقدْ علِمْتُ // علماً يقيناً لقدْ أحصيتْ آثاري

يا مُخرجَ الروحِ منْ جسْمي إذا احتَضَرْتُ // وفارجَ الكربِ رَحِزني عَنِ النارِ

هذا تناسل اقتباسي، فهو من صريح الآية الكريمة: ﴿فَمَنْ زَحِزَحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾

فدو الرمة - وهو يحتضر- يطلب من الله الفوز، وتقريح الكرب، و يدعو الله ساعة الاحتضار أن يدخله الجنة ويزحزحه عن النار، كما جاء في الآية الكريمة. وكأنني بذو الرمة يطبق حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ قال: " موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، اقرؤوا إن شئتم ﴿فَمَنْ زَحِزَحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ هذا حديث ثابت في الصحيحين "، وهذا يندرج ضمن التناسل الصريح، أو الاقتباس بالمفهوم البلاغي.

و منه قوله:

لا يخلف الضأن الغزار أبا الفتى // إذا ناب أمر في الصدور فظيع

قال تعالى: ﴿... وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾

وما هذه إلا إشارة أراد بها الشاعر أن يرجئ الأمر إلى الله تعالى، إذا تعلّق بشيء ما في الصدور، ولا يعلم الخبايا إلا الله تعالى. ثم قال:

يحدو نحائص أشباها محملجة // ورق السراويل في ألوانها خطب

سراويل في الابدان فيهن صدأة // بيضا كبيض المقفرات النقانق

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سُرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسُرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْلُمُونَ﴾ وذو الرمة في هذين البيتين، أخذ الكلمة (سراويل) من القرآن الكريم، فوظفها حسب ما أملاه عليه الموقف. ودائما في إطار الإشارة، أو (التناص (الإشاري)، وجد ذو الرمة في القرآن الكريم وألفاظ القرآن العظيم ضالته، كما وجدها شعراء الإسلام. ومنه قوله أيضا:

والودق يستن عن أعلى طريقته // جول الجمان جرى سلكه النقب

يغشى الكناس بروقيه ويهدمه // من هائل الرمل منقاض ومنكثب

و"الودق": المطر كله، شديده وهينه، وقد ودق يدق ودقا أي قطر. وهذا قريب من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ فِي جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يُذْهِبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ وهذا المطر (الودق)، كما جاء في الآية، إنما ليبعث الله من خلاله " المثيرة فتقم الأرض قمًا، ثم يبعث الله الناشئة فتنشئ السحاب، ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف بينه، ثم يبعث الله اللواقح فتلقح السحاب، ومن هنا يظهر لنا ذا الرمة، ولوعه الشديد بالتشبيهات، وبخاصة التشبيه التمثيلي، إذ ربط ذو الرمة بين المشبه (الثور) الذي يجول كما يجول الجمان، أي يتغير ويتحول ويزول والمشبه به (الودق)، فأخذ جمال هذه الصورة من جمال وبهاء الصورة الواردة في الآية الكريمة. ومن يقرأ البيتين السابقين، يتبادر إلى ذهنه الصورة البلاغية الجميلة في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يَرْسُلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ، فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾

2. التناص مع الشعر الجاهلي

وانغمس ذو الرمة، في شعر القدماء، متأثراً بهم ، فأنتج دلالة حركية من خلال الوصف، مازجا مستويات خطابه الشعري بعناصر الخطاب الشعري الجاهلي؛ لامرئ القيس و لبيد والشنفري وغيرهم من فحول الشعراء في الجاهلية، فأخصب وأنتج وأبدع وتفنن في التصوير، و هكذا كانت حال الشعر الجاهلي، وبقي عليها شعراء العصرين الإسلامي والأموي، ولم يشذ ذو الرمة عن هذه القاعدة بل كان من أكثر شعراء عصره وأشدّهم تمسكاً وتشبهاً بخصائص الشعر الجاهلي، وبخاصة في الوصف، بتشتت خياله وشروء خواطره، فيه تبرز المعاني الحسية، والتعبيرات المباشرة، فأتاح ذو الرمة من ثراء نبع معاني الشعراء في الجاهلية والاسلام .

ومن هنا نلفي الشاعر ذا الرمة - على غرار غيره من شعراء عصره - يوظف مقتطفات وإشارات من القرآن الكريم، و نصوصاً من الشعر الجاهلي ومعاني وصورها من القصيدة الجاهلية، وبخاصة في الوصف والتشبيه، فكان ذو الرمة " يتجه إلى الشعر القديم يوطّد صلته به ليتصل عن طريقه بالمثّل الفنية الرفيعة ... يجمع من تراثه الثري رصيذاً ضخماً يحتفظ به في أعماقه لينفق منه عند الحاجة في أعماله الفنية، وهو رصيد كان يجيد استغلاله، ويحسن التصرف فيه، ويعرف كيف ينفق منه، ومتى يجب .أن ينفق منه حتى أن النقاد القدامى صنّفوه مع امرئ القيس في حسن التصوير والتشبيه، حسن الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس، وذو الرمة أحسن أهل الإسلام تشبيهاً، وأنّ الشعر فُتِحَ بامرئ القيس، وخُتِمَ بذِي الرمة .(وهذا ما نراه بارزاً جلياً وواضحاً في شعره)، إذ إنّ الصحراء ورمالها وكتبانها، عند ذي الرمة، بمثابة الصورة الصادقة والمرآة الناصعة المصقولة التي تعكس المناظر البدوية الأصيلة التي تغنى بها شعراء الجاهلية، فنجد ذا الرمة يختصر رؤى (امرئ القيس ولبيد والشنفري والهاذليين، ...)، ويستقي منها معجمه اللغوي الذي يشكل صلابة العبارة الشعرية وخاصة في الوصف الذي تهيم قصائده في بحر الصحراء وعمقها، ومنها نجد إشارات وأسماء كثيرة قد أخذت طريقها إلى قصائد ذي الرمة. ويتميز مطلع القصيدة العربية الجاهلية بالظاهرة الطللية، ولكن ذا الرمة الشاعر الإسلامي الأموي، "يعد - بدون منازع -أهم شاعر أموي عني بمقدمات الأطلال في شعره، وحرص على توفير كل مقوماتها وتقاليدها القديمة لها، بل يعد- في الحقيقة - أهم شاعر في تاريخ الشعر العربي كله نهض بهذه المقدمات، وأرسى لها هذه المقومات والتقاليد، وارتفع بها إلى قمة لم يصل إليها شاعر من قبله أو من بعده.

ويعد هذا نوعاً من التناص يعتمد على الإشارة الفنية والوضوح؛ وإن كان ذو الرمة يُعبّر تعبيراً صادقاً في هذه المقدمات عن تجربة عاشها، وعاش في أعماقها حياته كلها، ويعتبر هذا الاتجاه رمز الصحراء

والبداوة التي نشأ فيها ذو الرمة، والرابطة القوية والثيقة التي تربطه بماضي هذا الشعر .
إذ لا يمكن لأي مبدع، شاعر أو فنان، أن ينطلق من العدم، أو من الفراغ.
يقول ذو الرمة:

يمدح هلال بن أحوز التميمي:

يا دار مية بالخلصاء فالجرد ... سقياً، وإن هجت أدنى الشوق للكمد
هذا البيت شبيه بمطلع معلقة الشاعر الفحل عنتر بن شداد العبسي حيث يقول في مطلعها:
"يا دار عبله بالجواء تكلمى ... وعمى صباحا دار عبله و اسلمى..
ومنه قوله:

خليلي عوجا اليوم حتى تسلما ... على دار مي من صدور الركائب

يتناص مع بيت من معلقة طرفة بن العبد يقول فيه:

وقوفا بها صحبي علي مطيهم ... يقولون لا تهلك أسي وتجمّل

هنا، يقوم ذو الرمة باستخدام نفس الفكرة الجاهلية المتعلقة بحب الأماكن بسبب الأحبة، لكنه يعيد صياغتها بأسلوبه الخاص، مما يبرز تأثير الشعراء السابقين له على أعماله وفي نفس الوقت يظهر قدرته على الابتكار والتجديد.

ومنه أيضا قوله:

قفا نحي العرصات الهما ... والنؤي والرميم والمستوقدا

مثل مطلع معلقة امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

نلاحظ أن هناك إحساس قوي بالحنين والشوق للأيام والأماكن التي مضت، فكلا الشاعران يستخدمان خطابا مباشرا إلى الرفيق، مما يخلق نوعا من المشاركة الشعورية في حالة الشاعر، وهو أسلوب شائع في الشعر الجاهلي.

3. التناس مع الأساطير والثقافة العربية

يستخدم ذو الرمة رموزاً من الأساطير العربية، حيث يقول:

“إذا ما جنّ الليل ونام من حوله // ترى الجن يرقبون في الخيام ناره”

في هذا البيت، يستحضر ذو الرمة صورة الجن، التي تعد جزءاً من الأساطير والثقافة العربية. هذه الصورة تضيف إلى النص بعداً أسطورياً، مما يضيف عليه طابعاً خيالياً ويجعل النص ممتعاً للقراءة. التناص هنا يعتمد على استحضار مكونات الثقافة الشعبية والأساطير لتكوين صورة شعرية تعبر عن عزلة الشاعر ووحده في الصحراء.

4. التناص مع النصوص الدينية الأخرى

النموذج الرابع: في أحد الأبيات، يقول ذو الرمة:

“ونار الغضا قد أوقدت بعد ليلٍ // وللظاعن المجدّ سُبُل الرشاد”

في هذا البيت، يستخدم ذو الرمة عبارة “سُبُل الرشاد”، وهي تعبير مألوف في النصوص الدينية. هذه العبارة تُستخدم للدلالة على الطريق المستقيم والهدى. توظيف ذو الرمة لهذه العبارة يضيف على النص بعداً دينياً ويعكس تأثير النصوص الدينية على فكره وأسلوبه الشعري.

5. التناص الثقافي والاجتماعي

يقول ذو الرمة:

“لقد بات بين الحيّ جفنة مسعرٍ // لها بين أيديهم لهيبٌ وناره”

هذا البيت يعكس تناصاً مع الموروث الثقافي العربي في مسألة الضيافة والكرم، وهو موضوع متكرر في الشعر العربي القديم. استخدام “الجفنة” وهي إناء الطعام الكبير، مع “مسعر” الذي يوحى بالنار المشتعلة تحت الطعام، يربط الشاعر نفسه بقيم الكرم والضيافة المتجذرة في الثقافة العربية. هذا التناص الثقافي يعزز من الصورة التي يرسمها ذو الرمة عن نفسه كرجل عربي متجذر في تقاليده وقيمه.

الفصل الرابع: أثر التناص على فهم شعر ذو الرمة

يمثل التناص أحد العناصر الأساسية التي تساهم في إثراء وفهم شعر غيلان ذي الرمة، حيث يعكس تفاعله مع نصوص متعددة من التراث العربي والديني والثقافي. من خلال دراسة أثر التناص في شعر ذي الرمة، يمكننا فهم كيفية توظيفه لهذه النصوص لخلق معانٍ جديدة ومركبة، مما يساهم في تعزيز الأبعاد الأدبية والفكرية لشعره.

1. تعزيز البعد الديني والروحي

أحد الآثار البارزة للتناص في شعر ذي الرمة هو تعزيز البعد الديني والروحي لنصوصه. من خلال استحضار القرآن الكريم والنصوص الدينية الأخرى، يضيف ذو الرمة على شعره طابعاً روحانياً، يجذب القراء ويعزز من عمق المعاني. على سبيل المثال، عندما يستخدم عبارات مثل "آيات من الذكر" أو "سُبُل الرشاد"، فإنه يربط شعره بالمقدس، مما يجعل النصوص ليست مجرد أشعار دنيوية، بل نصوصاً تحمل أبعاداً دينية وروحية. هذا التناص الديني يمكن أن يفتح أبواباً لفهم أكثر تعمقاً للنصوص، خاصة لدى القراء الذين يمتلكون خلفية دينية وثقافية غنية.

2. بناء جسر بين الماضي والحاضر

يلعب التناص مع الشعر الجاهلي والتراث الأدبي دوراً مهماً في بناء جسر بين الماضي والحاضر في شعر ذي الرمة. من خلال إعادة صياغة أو استحضار أبيات جاهلية أو موضوعات تقليدية، يتمكن ذو الرمة من تكوين نصوص تجمع بين الأسلوب الكلاسيكي والحديث. هذا التفاعل بين العصور يجعل شعره متجذراً في التراث العربي، ولكنه في الوقت نفسه معاصر ومتجدد، مما يساعد القراء على التواصل مع النصوص بشكل أعمق. على سبيل المثال، استحضار ذو الرمة لصور من الشعر الجاهلي، مثل تصوير الصحراء أو الحيوان، ليس مجرد استعارة، بل هو عملية إحياء للتراث، مما يعزز من قيمة الشعر القديم ويجعله جزءاً من الحاضر الأدبي. هذا التناص يجعل شعر ذي الرمة حواراً مستمراً بين الأجيال، ويعزز من فهمنا لترابط وتطور الأدب العربي.

3. تعميق المعاني وإثراء النصوص

التناص يساعد أيضاً في تعميق المعاني وإثراء النصوص من خلال تفاعل النصوص المختلفة. عندما يستخدم ذو الرمة التناص، سواء كان مع القرآن أو الشعر الجاهلي أو الأساطير، فإنه يضيف طبقات من المعاني إلى نصوصه، مما يجعلها متعددة الأبعاد. على سبيل المثال، التناص مع الأساطير والثقافة الشعبية يمكن أن يضيف بعداً خيالياً وأسطورياً للنص، مما يجعله أكثر جذباً للقارئ ويضيف إليه طابعاً سردياً أو روائياً. هذا التناص يعزز من قدرة النصوص

على إثارة التأمل والتفكير، ويجعلها أكثر تعقيداً وإثراءً، حيث يتطلب من القراء أن يكونوا نشطين في عملية القراءة، وأن يبحثوا عن الروابط والمرجعيات التي يعبر عنها الشاعر.

4. تعزيز التفاعل مع القارئ

من خلال التناص، يُمكن لشعر ذي الرمة أن يُعزز من تفاعل القارئ مع النص. فالتناص يخلق نوعاً من الحوار بين النص والقارئ، حيث يُدعى القارئ لفك شفرة النص وفهم المرجعيات المختلفة التي يستحضرها الشاعر. هذا التفاعل يُعزز من تجربة القراءة، حيث يُصبح القارئ مشاركاً نشطاً في بناء المعنى. و التناص في شعر غيلان ذي الرمة يمكن أن يكون أيضاً أداة للتعليم والتذكير، حيث يعيد إلى أذهان القراء نصوصاً قديمة أو معروفة، مما يعزز من ارتباطهم بالتراث الأدبي والثقافي. من خلال هذا الحوار المتبادل، يُمكن لشعر ذي الرمة أن يُحقق تفاعلاً أكبر مع القراء، مما يجعله جزءاً من الذاكرة الثقافية المشتركة.

5. إضافة أبعاد نقدية واجتماعية

يُمكن للتناص أن يُضيف أيضاً أبعاداً نقدية واجتماعية لشعر غيلان ذي الرمة. من خلال التناص مع النصوص الأخرى، يُمكن لذي الرمة أن يُشير إلى قضايا اجتماعية أو سياسية معينة، أو يُقدم نقداً غير مباشر للوضع الراهن. هذا النوع من التناص يجعل النصوص ليست فقط وسيلة للتعبير الفني، بل أداة للنقد الاجتماعي والسياسي. على سبيل المثال، استخدام التناص مع الأساطير أو النصوص الثقافية قد يُساعد في إلقاء الضوء على قضايا مثل الظلم أو الفقر أو السلطة، مما يضفي على النصوص بعداً نقدياً ويجعلها تعكس القضايا المعاصرة بطريقة ذكية ومبطنّة.

الخاتمة

يعتبر شعر غيلان ذي الرمة مثالاً حياً على براعة الشاعر في دمج العناصر التراثية والدينية والثقافية مع إبداعه الشخصي، مما يجعله واحداً من الشعراء البارزين في الأدب العربي. من خلال التناص، تمكن ذو الرمة من بناء نصوص شعرية متعددة الأبعاد، تعكس فهماً عميقاً للتراث العربي والديني، وتضيف إلى شعره جماليات ومعاني جديدة.

فالتناص في شعره ليس مجرد اقتباس أو إعادة صياغة لنصوص أخرى، بل هو عملية إبداعية تُثري

النصوص وتُعزز من قدرة الشاعر على التواصل مع القراء. يعكس التناص في شعره تفاعله مع القرآن الكريم، والشعر الجاهلي، والأساطير العربية، مما يجعل نصوصه تحمل أبعادًا دينية وروحية وثقافية متعددة.

من خلال دراسة وتحليل نماذج التناص في شعر ذي الرمة، يتضح أن التناص يُضيف أبعادًا جديدة للنصوص، ويعزز من فهم القارئ لها، ويجعلها أكثر جذبًا وتأملاً. فالتناص يمكن أن يكون أداة للتعليم والتذكير، ويساهم في بناء جسور بين الماضي والحاضر، مما يعزز من ارتباط القارئ بالتراث الأدبي والثقافي.

في الختام، يمثل التناص في شعر ذي الرمة عنصرًا جوهريًا يساهم في بناء نصوص غنية بالدلالات والمعاني، ويعكس قدرة الشاعر على استحضار التراث والدمج بين القديم والحديث بطريقة إبداعية ومبتكرة. هذا التفاعل مع النصوص الأخرى يُظهر عظمة الشعر العربي وثراءه، ويؤكد على أهمية دراسة التناص لفهم أعمق وأشمل للأدب العربي وتطوره.

المراجع

1. الكتب والمراجع الأساسية:

- الجواهري، محمد مهدي. الشعر العربي: دراسة نقدية. القاهرة: دار المعارف، 1995.
- اليوسف، عبد الله. التناص في الشعر العربي. بيروت: دار الفكر، 2002.
- الكيلاني، عادل. الشعر العربي القديم: دراسة وتحليل. عمان: دار الثقافة، 2010.
- شوقي، عبد الرحمن. مفهوم التناص وأثره في الأدب العربي. الرياض: دار الأبحاث، 2015.

2. الدراسات والمقالات الأكاديمية:

- السيد، أحمد. "التناص في شعر غيلان ذو الرمة: دراسة تحليلية." مجلة الدراسات الأدبية، عدد 24، 2018، ص. 45-68.
- الحمادي، عائشة. "تأثير التناص على بنية النصوص الشعرية: حالة شعر ذو الرمة." مجلة النقد الأدبي، عدد 17، 2017، ص. 112-130.

- الراشدي، محمد. "التناص والشعر العربي: قراءة في أعمال غيلان ذو الرمة." مجلة الأدب العربي المعاصر، عدد 31، 2019، ص. 89-105.

3. المصادر التاريخية:

- ابن خلدون، عبد الرحمن. مقدمة ابن خلدون. القاهرة: دار التراث، 2007.
- الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الطبري. بيروت: دار الكتب العلمية، 2000.

4. المصادر الإلكترونية:

- موقع مكتبة الأدب العربي. "غيلان ذو الرمة: سيرة وتحليل." www.arabicliterature.com.
- قاعدة بيانات جوجل الأكاديمية. "التناص في الأدب العربي: دراسات وأبحاث." scholar.google.com.
- 5. الراشدي، محمد. "التناص والشعر العربي: قراءة في أعمال غيلان ذو الرمة."
- اقتباس: "يستخدم ذو الرمة التناص لربط شعره بالتراث العربي والديني، مما يضيف إلى شعره عمقاً وتعقيداً." (ص. 98)